د. مباركية عيسى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: النقد السيميائي
التخصص: نقد ومناهج . ليسانس
المستوى: السداسي الخامس

المحاضرة رقم:04

منطلقات السيميائية عند فرديناند دي سويسر

استمد النقد السيميائي وجوده من أطروحات (دي سويسر) بفضائها الألسني، وتعتبر محاضراته في اللسانيات العامة، المرجع الرئيسي الذي غير مسار اللسانيات عامة، و ما كان لها من أثر كبير في بقية العلوم التي تقف متاخمة له مثل: النقد الأدبي بكل مدارسه و اتجاهاته ، علم الاجتماع و التحليل النفسي و غير ذلك.

1. سيميولوجيا فيرديناند دي سوسير:

يعد العالم اللساني السويسري "فيرديناند دي سوسير " أول من بشر بميلاد علم جديد يهتم بدراسة العلامات، و أسماه بـ"السيميولوجيا "la sémiologie" "، أي علم العلامات، و في ذلك يقول: "نستطيع أن نتصور علما يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية و قد يكون قسما من علم النفس الاجتماعي و بالتالي قسما من علم النفس العام، و نقترح تسمية sèmiologie سيميولوجيا؛ أي علم الدلائل، و هي كلمة مشتقة من اليونانية (sèmoin)بمعنى دليل، و لعله سيمكننا من أن نعرف مما تتكون الدلائل و القوانين التي تسيرها..."[1].

وعليه فالسيميولوجيا من هذا المنظور يرى بأنها علم العلامات ؛ و هي العلم الذي اقترحه"سويسر" كمشروع مستقبلي لتعميم "علم اللسانيات " الذي جاء به، فقد تحدث بلغة تصورية استشرفت علما جديدا موضوعه أنظمة العلامات أو الرموز التي بفضلها يتواصل البشر فيما بينهم.

2. العلاقة بين اللسانيات و السيميولوجيا:

يعتبر "فيرديناند دي سوسير" أن اللسانيات جزء من السيميائية بكون العلامات على نوعين: علامات لسانية و علامات غير لسانية، و بما أن السيميولوجيا تعنى بعموم العلامات (اللسانية و غير اللسانية) فهي علم عام، أما اللسانيات التي لا تعنى إلا بالعلامات اللسانية فهي لا تعدو أن تكون علما خاصا بنوع محدد من العلامات، و بذلك تكون اللسانيات علما تابعا للسيميولوجيا، و تكون السيميولوجيا علما شموليا والعلاقة التي تجمع بين السيميولوجيا و اللسانيات هي علاقة عام بخاص، و بالتالي فمشروعية تأسيس السيميولوجيا مستمدة من الحاجة إلى وجود علم يدرس العلامات اللسانية والعلامات غير اللسانية،

و لعل تعريفه للغة يكون بمثابة الدعامة الأساسية على أن هذا العلم أعم من اللسانيات من حيث دراسته وجمعه بين العلامات اللغوية و غير اللغوية، و في هذا الصدد يقول بأنها: "منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما /.../ تشبه الكتابة و أبجدية الصم و البكم والطقوس الرمزية، وضروب المجاملة والإشارات العسكرية"[2].

و يقوض "رولان بارت" في مقترحه السيميولوجي فكرة "سويسر"، إذ يرى أن اللسانيات العلم الجامع الذي يضم بقية الأنظمة السيميولوجية الدالة مثل (الطعام واللباس و غيره ...) و لا يمكن فهم خصائصها إلا عبر الدليل اللساني.

3. العلامة عند فيرديناند دي سوسير:

إن العلامة عند" فيرديناند دي سوسير" مركبة من طرفين متصلين يمثلان "كيانا ثنائي المبنى، يتكون من وجهين يشبهان وجهي العملة النقدية، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر" [3]، وهي وحدة أساسية في عميلة التواصل بين أفراد مجتمع معين، وتضم جانبين أساسين، فالجانب الأول هو إشارة مكتوبة أو منطوقة، و هي الدال "signifiant" أي الصورة الصوتية للمسمى. و الجانب الثاني: هو " المدلول "signifié" " أو المفهوم الذي نعقله من الإشارة لها و يمكن تمثيل الفكرة كالآتي: العلامة=الدال/المدلول .

و هكذا نصل إلى تحديد مفهوم العلامة signe بأنها ذلك الكل المركب من الدال والمدلول. و يمكن توضيح ذلك بيانيا:

العلامة :signe ← إشارة مكتوبة أو منطوقة(مسموعة)image

↙ مفهوم التصور الذهني concept

وعليه فالعلامة عند"سويسر" قائمة على الدال و المدلول، و العلاقة الموجودة بينهما اعتباطية

1.3. اعتباطية العلامة اللغوية :

يرى "سويسر" أن العلاقة بين الدال و المدلول قائمة على الاصطلاح غير المعلل، فالعلاقة القائمة بينهما قائمة على الاتفاق بين مجموعة الأفراد داخل مجتمع معين، فالعلاقة القائمة بينهما قائمة على "مبدأ المواضعة، بل هو قرينه الذي لا يفارقه" [4]، والحجة في ذلك أن الإشارات الصوتية التي يتكون منها مثلا لفظ (أخت) لا توجد فيها أي صلة بين سلسلة الأصوات (أ.خ.ت) و الصورة التي تحصل في الذهن، إذ بإمكاننا استبدالها بإشارات صوتية أخرى دون أن تتغير الصورة كأن نقول بالفرنسية(soeur) و بالإنجليزية (sister)

،فالعلاقة بين الدال و المدلول اعتباطية لأن المعنى الواحد يمكن أن نعبر عنه بألفاظ مختلفة مثل (البحر و هو اليم)، (السيف و هو الحسام)،(القط و هو الهر)،(الأسد و هو الضرغام،الليث،ملك الغابة...)

ولو كانت الأشياء هي التي تفرض الاسم بحكم طبيعتها لكانت لغة البشر واحدة، ولما تعددت، فاللسان العربي غير اللسان الفرنسي وغير اللسان الألماني، فالصلة بينهما ضرورة تقتضيها العلاقة التواصلية المتعارف عليها في المتجمع.

2.3. الطبيعة الخطية للدال :

من خلال تعريفنا السابق للدال فإنه ذا طبيعة سمعية، ولكونه كذلك فإنه يمتد امتدادا في الزمن، فهو بمثابة التيار المتدفق اللامنقطع في زمن الخطاب، وفي فضاء الكتابة المتتابع، ويؤكد "سويسر" على أن "الكلام البشري ذو طبيعة خطية أي أن كل عنصر من عناصر تكوينه ينبغي أن يلفظ به على التوالي في سلسلة منطوقة والواقع أن العلامات اللغوية تتكيف بلا خلاف حسب بيئتها في السلسلة المنطوقة"[5]، فبما أن الركيزة المادية للدليل اللغوي هي الصوت، فإنه عند إحداث الأصوات يتسلل عبر الزمن في خط واحد أفقي يسمى مدرج الكلام،فمثلا كلمة (خرج) من خلال نطقها تأتي حروفها متسلسلة (خ+ ر +ج) وإذا ما غيرنا في تسلسل هذه الحروف (ج،ر،ح) ،فانه حتما يؤدي إلى تغير المعنى فالمبدأ الخطي إجباري، فاللغة تمر عبر خط معين، وبالتالي فاللغة ليست مجموعة وحدات وإنما بنية على الأقل تشكل خطا (الخط هو مجموعة من النقاط المتتالية) وكل تركيب يشكل خطا من الخطوط، فالسلسلة الخطية مهمة.

الإحالات:

1. فرديناند دي سويسر: محاضرات في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، د.ط،1985، ص:37.

2. محمد أديوان: النص والمنهج، منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب،ط1،ص ـ ص:124.122.

3. فرديناند دي سويسر: محاضرات في الألسنية العامة ، تر: صالح القرمادي وآخرون، ص:12.

4. الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنيوية، دار القصبة، الجزائر، ط 1، 2001، ص:31.

5. ميلكافيتش: اتجاهات البحث اللساني، تر:سعد عبد العزيز مصلوح.وفاء كامل فايز.المجلة الأعلى للثقافة ط2، 2000، ص:219.